عفان رضي الله عنه وان الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا . ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فهولاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة . ونتولى سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم . ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه . ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا ولا نقول على الله مالا نعلم . ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك (١) ونقول ان الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم

كتاب أسرار الطهارة

قال تعالى ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) فى الاقناع وشرحه — من كتب الحنابلة — وكل قربة فعلها المسلم وجعل ثوابها لمسلم حيّ أو ميت جاز ونفعه لحصول الثواب له حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تطوع وواجب تدخله النيابة كحج وصوم نذر أو لا كصلاة وكدعاء واستغفار وصدقة وعتق وأضحية وأداء دين وصوم وكذا قراءة وغيرها . قال الامام احمد : الميت يصل اليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه ولان المسلمين يجتمعون فى كل مصر ويقرؤن ويهدون لموتاهم من غير نكير فكان اجماعا اه

الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ) وعنه (بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ) فعلى ذوى البصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ) عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء والقائه وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات . والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الأولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات . (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهو طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وكثرت عقباته فلا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا * نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين

واستغراقهم جميع الهمّ والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية . ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء . فكانت عنايتهم كلهم بنظافة الباطن . ولم ينقل عن أحد منهم سؤال عن دقائق النجاسات . وقد انتهت النوبة الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه . ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو صلى على الارض من غير سجادة مفروشة أو توضأ من آنية كافر أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر . فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه اذا عرفت هذه المقدمة فلنتكلم الآن من مراتب الطهارة على الرابطة وهى نظافة الظاهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام . طهارة عن الخبث . وطهارة عن الحدث . وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحمام واستعمال النورة والختان وغيرها *

﴿ القسم الاول فى طهارة الخبث ﴾

« والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة »

﴿ الطرف الاول فى المزال وهى النجاسة ﴾

الاعيان ثلاثة جمادات . وحيوانات . وأجزاء حيوانات . أما الجمادات

فطاهرة كلها الا الخمر . وكل منتبذ مسكر . والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير . فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة (١) الآدمى (٢) والسمك (٣) والجراد(٤) ودود التفاح وفى معناه كل مايستحيل من الاطعمة (٥) وكل ماليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه . وأما أجزاء الحيوانات فقسمان (أحدهما) مايقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزّ والنوت . والعظم ينجس (الثانى) الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ماليس مستحيلا ولا له مقرّ فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط . وماله مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمنىّ والبيض واللبن والقيح والدم والروث . والبول نجس من الحيوانات كلها . ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة . (الاول) أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه مالم يَعْدُ المخرج (والثانى) طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب المتلطخ به الى تفريط أو سقطة . (الثالث) ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة (الرابع) دم البراغيث ماقل منه أو كثر الا اذا جاوز حدّ العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته (الخامس) دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفى معناه مايترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا — وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من جراح أو غيره

فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الانسان عنها فى أحواله . ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما أبدع فيها وسوسة لا أصل لها *

﴿ الطرف الثانى فى المزال به ﴾

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة مايستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ خَلَقَ ٱللهُ المَاءَ طَهُورًا لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ لَوْنَهُ أَوْ رِيحَهُ ﴾

﴿ الطرف الثالث فى كيفية الازالة ﴾

النجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها . وان كانت عينية فلا بد من إزالة العين . وبقاء اللون بعد الحت والقرص معفو عنه . ويعفى عن الرائحة إذا عسر إزالتها . والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون . والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معها *

﴿ القسم الثانى طهارة الأحداث ﴾

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء . وآداب قاضى الحاجة ان شاء الله تعالى *

﴿ آداب قضاء الحاجة ﴾

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشئ ان وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وان يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفى الثقب وأن يتقى الموضع الصلب ومهبات الرياح فى البول إستنزاهاً من رشاشه وان يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى وان كان فى بنيان يقدّم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يقول عند الدخول . بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى علىّ ماينفعنى وأن يستبرئ من البول بالنتر ثلاثا ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فيقدّر أنه بقية الماء . وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة على قلة الفقه . ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله صلوات الله عليه

مع شدة حيائه ليبيّن للناس ذلك *

﴿ كيفية الاستنجاء ﴾

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار . ومثلها كل خشن طاهر . ثم يستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحسّ اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل مالا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر . وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس *

﴿ كيفية الوضوء ﴾

إذا فرغ من الاستنجاء . وأراد القيام الى الصلاة . اشتغل بالوضوء ويبتدئ بالسواك ثم يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويسمّى ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر الا أن يكون صائما ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر مافيها ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى مايقبل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض ويوصل الماء الى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لأنها خفيفة فى الغالب . والى منابت اللحية الخفيفة وأما الكثيفة فيفيض الماء على ظاهرها ويندب تخليلها ويدخل الاصابع فى

محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويبدأ باليمين ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤس أصابع يده اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمرهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ثم يمسح رقبته بماء جديد ثم يغسل رجليه الى الكعبين ويخلل أصابعهما فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين ﴾

﴿ مايكره في الوضوء ﴾

يكره في الوضوء أن يزيد على الثلاث وأن يسرف في الماء * توضأ عليه الصلاة والسلام ثلاثا وقال ﴿ مَنْ زَادَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ ﴾ وقال ﴿ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ ﴾ ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وان يلطم وجهه بالماء لطما *

﴿ الاعتبار بالطهارة ﴾

متى فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهر قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب

بالتوبة والخلوّ عن الأخلاق المذمومة والتخلّق بالأخلاق الحميدة أولى من أن يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرّاني من الدار وما أجدره بالتعرض للمقت والبوار *

﴿ كيفية الغسل ﴾

يغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلاّ غسل القدمين فانه يؤخرهما ثم يصب الماء على رأسه ثم على شقه الأيمن ثم الأيسر ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه وما خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد مغاطف البدن والغسل الواجبُ بأربعة بخروج المنيّ والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاحرام والوقوف بعرفة ولدخول مكة ولمن غسل ميتا *

﴿ كيفية التيمم ﴾

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده من بعد الطلب أو لمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة

أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف أو كثف ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية ويفرج فيها بين أصابعه ويمسح بكفه اليسرى يده اليمنى وبكفه اليمنى يده اليسرى واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ويعيد التيمم لفرض ثان *

﴿ القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة ﴾

(وهي نوعان أوساخ وأجزاء)

﴿ النوع الأوّل الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية ﴾

(الأوّل) مايجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به (الثاني) مايجتمع من الوسخ في معاطف الاذن . والمسح يزيل مايظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي أذنيه فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام (الثالث) ما يجتمع في داخل الأنف ويزيله بالاستنشاق والاستنثار (الرابع) ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان فيزيله السواك والمضمضة (الخامس) مايجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل

والتسريح بالمشط . وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عزّ وجل . والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال (السادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم (السابع) تنظيف الرواجب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رؤس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (الثامن) الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام *

﴿ آداب الحمّام ﴾

لا بأس بدخول الحمام * دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم . نِعْمَ البيت بيت الحمّام يطهر البدن ويذكر النار * روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بِئْسَ البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته . وذاك تعرض لفائدته . ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات . فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مسّ الغير فلا يتعاطى أمرها وازالة

وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مسّ الفخذ وما بين السرة الى العانة والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها . لان النهى عن الكشف واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول . وأما السنن فمنها النية وهو أن لايدخل لعاجل دُنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ويقدم رجله اليسرى عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحامى لكرهه لاسيما الماء الحارّ فله مؤنة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحر الحمام ويقدر نفسه محبوسا فى البيت الحارّ ساعة ويقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم . النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك . ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله ولا بأس بأن يدلكه غيره ويغمز ظهره وأطرافه ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عزّ وجل على هذه النعمة ويكره طبّا صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه ويكره للمرأة دخوله الا لضرورة بمئزر سابغ *

﴿ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية ﴾

(الاول شعر الرأس) ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله (الثاني شعر الشارب) يندب قص ما طال عن الشفة منه ولا بأس بترك السبالين (الثالث شعر الابط) تستحب ازالته فى كل أربعين يوما فأقل (الرابع شعر العانة) تستحب ازالته بالحلق أو بالنورة فى

المدة المتقدمة (الخامس الأظفار) وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ وليس في ترتيب قلمها مروىّ صحيح (السادس والسابع) زيادة السرّة وقلفة الخشفة أما السرة فتقطع فى أول الولادة وأما التطهير بالختان فلا بأس به فى اليوم السابع من الولادة وان خيف منه خطر فالاولى تأخيره (الثامن) ماطال من اللحية روى عن بعض الصحابة والتابعين أخذ ما زاد عن القبضة وقال آخرون تركها عافية أحب ، والامر فى هذا قريب ان لم ينته الى الطول المفرط فانه قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبز اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وفى اللّحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض . خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلوّ السن وخضابها بالحمرة من غير نية تشبها بالصالحين . فأما الخضاب بالسواد فقد روى فيه نهى لأنه قد يفضي الى الغرور والتلبيس . وأما تبييضها بالكبريت فقد يكون استعجالا لاظهار علوّ السن توصلا الي التوقير . وترفعا عن الشباب واظهارًا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا . فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها . ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته . وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم . كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن

على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه ما آتى الله عز وجل عبده علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وقال أيوب السختيانى . أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقيل لابى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به *

﴿ باب أسرار الصلاة ومهماتها ﴾

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات وقد استقصيت أصولها وفروعها فى فن الفقه فنقتصر هنا على مالابد منه للمريد من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة *

﴿ فضيلة الأذان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لاَ يَسْمَعُ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ﴾ وذلك محبوب مستحب الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة . أقامها الله وأدامها . وفى التثويب أى قول مؤذن الفجر الصلاة خير من النوم ـ صدقت وبررت وعند الفراغ يقول ﴿ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة

القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ﴾

﴿ فضيلة المكتوبة ﴾

قال الله تعالى (إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلى المُؤْمِنينَ كِتابًا مَوْقُوتًا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الصَّلَواتُ الخَمْسُ والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ كَفّاراتٌ لِما بَيْنَهُنَّ ما اجْتُنِبَتِ الكَبائِرُ ﴾ وسئل صلى الله عليه وسلم أيّ الاعمال أفضل فقال ﴿ الصَّلاةُ لِوَاقِيتِها ﴾ وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفئوها *

﴿ فضيلة اتمام الاركان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ صَلَّى صَلاةً لِوَقْتِها وَأَسْبَغَ وُضُوءَها وَأَتَمَّ رُكُوعَها وَسُجُودَها وَخُشُوعَها عَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ حَفِظَكَ اللهُ كَما حَفِظْتَنِي وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَقْتِها وَلَمْ يُسْبِغْ وُضُوءَها وَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَها وَلا سُجُودَها وَلا خُشُوعَها عَرَجَتْ وَهِيَ سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللهُ كَما ضَيَّعْتَنِي حَتَّى إذا كانَتْ حَيْثُ شاءَ اللهُ لُفَّتْ كَما يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ فَيُضْرَبُ بِها وَجْهُهُ ﴾ *

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ﴿ صَلاةُ الجَمْعِ تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ﴾ وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى

فى بعض الصلوات فقال ﴿ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ اخَالِفُ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ﴾ . وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال محمد بن واسع . ما اشتهى من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوّجت قوّمنى . وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة . وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وقال الحسن . لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال ابن عباس رضي الله عنه . من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به *

﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ﴾ وقال تعالى ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ يعنى نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر *

﴿ وجوب الخشوع ﴾

قال الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ﴾ ـ ظاهر الأمر الوجوب . والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى صلاته كيف يكون مقيما لها لذكره تعالى وقال سبحانه ﴿ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ جعل أول مراتب الفلاح الخشوع في الصلاة اعلاما بان من فقده فهو بمراحل عن الفوز والنجاح الذى هو معنى الفلاح . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَضَعُ يَدَيْكَ تَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خَدَاجٌ ﴾ وروى من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا . وحكى عن مسلم بن يسار انه كان يصلى فى مسجد البصرة فسقط حائط المسجد ففزع أهل السوق لهدته فما التفت ولما هنئ بسلامته عجب وقال ما شعرت بها. وقال ابن عباس ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه *

﴿ فضيلة المسجد وموضع الصلاة ﴾

قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ(١) بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا دَخَلَ احَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ ﴾ وقال صلى الله عليه

---

(١) أى مجتمعها لتضع فيه بيضها وترقد عليه كأنها تفحص عنه التراب أى تكشفه وحمله الأكثر على المبالغة وقيل بان يزيد فى المسجد قدرا يحتاج اليه كمفحصها أو على الاشتراك من جماعة فى بنائه فتقع حصة كل واحد كذلك القدر اه

وسلم ﴿ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَلَيْسَ هَمُّهُمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ ﴾

﴿ أعمال الصلاة الظاهرة ﴾

اذا فرغ المصلي من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة فعليه أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة وليقرب من جدار الحائط فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز موضع سجوده . وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات ثم ينوى أداء الصلاة بقلبه ويرفع يديه الى حذو منكبيه مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها ويكبر ثم يضع اليدين على صدره ويضع اليمنى على اليسرى ولا ينفض يديه اذا فرغ من التكبير بل يرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا وينبغي أن يضم الهاء من قوله (اللهُ) ضمة خفيفة من غير مبالغة . ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو ولا بين باء أكبر وراءه ألفا كانه يقول (اكبار) ويجزم راء التكبير ولا يضمها *

﴿ القراءة ﴾

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح عقب التكبير قائلا : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا . أو ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي

وحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين﴾
أو : سبحانك اللهم . وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا
إله غيرك . ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة ويقول
بعدها آمين ولا يصلها بقوله (ولا الضالين) ويجهر بالقراءة في الصبح
والمغرب والعشاء الا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو
قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها . ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الهوى
بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال
من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه .
وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وكذلك في
ركعتي الفجر والطواف والتحية *

﴿ الركوع ولواحقه ﴾

ثم يركع ويراعى فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع * وان يرفع يديه
مع تكبيرة الركوع * وأن يمد التكبير الى تمام الركوع * وأن يضع راحتيه
على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق *
وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما * وأن يمد ظهره مستويا لايكون رأسه أخفض
ولا أرفع وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه * وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها *
وأن يقول (سبحان ربي العظيم) ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان
لم يكن إماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول (سمع الله
لمن حمده) ويطمئن في الاعتدال ويقول (ربنا لك الحمد ملء السموات

والارض وملء ماينهماوملء ماشئت من شئ بعد) ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة *

﴿ السجود ﴾

ثم يهوى الى السجود مكبراً فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه مع غير الركوع ويجافى مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك ويفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك ويرفع بطنه عن فخذيه ولا تفعل المرأة ذلك ويضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ولا يفترش ذراعيه على الأرض وان يقول (سبحان ربي الاعلى) ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول : رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويصلى الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوّذ فى الابتداء *

﴿ التشهد ﴾

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى الا المسبحة ويشير بها عند قوله (إلا الله) ويجلس فى هذا التشهد على رجله

اليسرى كما بين السجدتين وفى التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس فيه على وركه الايسر لانه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ثم يقول (السلام عليكم ورحمة الله) ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن وشمالا كذلك وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الاولى وينوى مثل ذلك فى الثانية ولا يرفع صوته إلا بقدر مايسمع رجعه *

﴿ المنهيات ﴾

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والمتلثم فأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخلف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا حَضَرَ ٱلْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ ٱلصَّلَاةُ فَٱبْدَؤُا بِالعَشَاءِ ﴾ والنهى عن التلثم من حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى الرجل فاه في الصلاة . وقال الحسن كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع ويكره أيضا أن ينفخ فى الارض عند السجود وأن يسوى الحصا بيده وأن يستند فى قيامه الي حائط وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك *

﴿ تمييز الفرائض والسنن ﴾

ماتقدم يشتمل على فرائض وسنن وهيئات فالسنن من الافعال رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوى الى الركوع وعند الرفع منه والجلسة للتشهد الاول والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة . وترك الالتفات هيئة للقيام وتحسين لصورته . والسنن من الاذكار دعاء الاستفتاح والتعوذ وقول آمين وقراءة السورة وتكبيرات الانتقالات والذكر في الركوع والسجود والاعتدال والتشهد الاول والصلاة فيه على النبي صلوات الله عليه والدعاء في التشهد الاخير والتسليمة الثانية — هذه السنن وما عداها فهو واجب * واعلم أن الصلاة كالانسان فروحها وحياتها أعني الخشوع وحضور القلب والاخلاص كروح الانسان وحياته وأركانها تجري منها مجرى قلبه ورأسه وكبده اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها كما ينعدم الانسان بعدمها . والسنن تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين منه فهي لا تفوت الحياة بفواتها ولكن يصير المرء بفقدها مشوه الخلقة مذموما والهيئات تجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون ونحوها فمن اقتصر على أقل ماتجزئ من الصلاة كان كمن أهدى الى ملك من الملوك عبدا مقطوع الاطراف فالصلاة قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها *

﴿ بيان الشروط الباطنة من أعمال القلب ﴾

(اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ وظاهر الأمر الوجوب. والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ نهي وظاهره التحريم وقوله تعالى ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ) حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد * وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا ﴾ وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صَلَاتِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ ﴾ وما أراد به الا الغافل . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ﴾ والتحقيق فيه أن المصلي مناج ربه عز وجل - كما ورد به الخبر - والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ولو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا

في قلبه فلو كان تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهمّ بفكر من الافكار ولم يكن له قصد يوجه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل والقلب بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب واللسان يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الأيمان به . وبالجملة فحضور القلب هو روح الصلاة . ومن عرف سرّ الصلاة علم أن الغفلة تضادّها *

﴿ بيان المعاني الباطنة التي بها تتميز حياة الصلاة ﴾

يجمع تلك المعاني على كثرتها ستة جمل . حضور القلب . والتفهم والتعظيم . والهيبة . والرجاء . والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها *

(أما التفاصيل) فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما . والتفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب وهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة تمنعه عن الفحشاء والمنكر . والتعظيم وراء الحضور والفهم زائد عليهما . والهيبة زائدة على التعظيم وهي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم

والاجلال . والرجاء الطامع بمثوبته تعالى ويقابله الخوف من عقابه تعالى بتقصيره . والحياء استشعار تقصيره وتوهم ذنب *

(وأما أسباب هذه المعاني الستة) فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع همتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة اليها *

(وأما التفهم) فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن الى إدراك المعنى وعلاجه ما تقدم مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفعها قطع موادّها أعنى النزوع عن تلك الاسباب التى تتجذب الخواطر اليها *

(وأما التعظيم) فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين * إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان * الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم *

(وأما الهيبة والخوف) فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وإنه لو أهلك الأولين والآخرين لم

ينقص من ملكه ذرّة وكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة *

(وأما الرجاء) فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة *

(وأما الحياء) فباستشماره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وميلها الى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج . ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين *

﴿ بيان الدواء النافع في حضور القلب ﴾

إعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد إيمانه وإن كانت قوّتها بقدر قوّة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا ينهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلنعلم سببه *

وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا باطنا * أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه و ينصرف فيه ثم تنجرّ منه الفكرة الى غيره و يتسلسل و يكون الابصار سببا للافتكار ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لابدّ وأن يتفرّق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بأن يغض بصره أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه و يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره و يحترز من الصلاة على الشوارع و فى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة . وأما الأسباب الباطنة فهى أشدّ فان من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرأه في الصلاة و يشغلها به عن غيره و يعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهول المُطّلَع و يفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره *

فان كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة عن إحضار القلب ـ ولا شك أنها تعود الى مهماته ـ وأنها إنما صارت مهمات بشهواته ـ فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم

وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إذْهَبُوا بِها إلى أبي جَهْمٍ فإنَّها ألْهَتْني آنِفاً عَنْ صَلاتِي وآتُوني بِإنْبِجَانِيَّةِ أبي جَهْمٍ ﴾

﴿ بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة ﴾

اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك و باطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر . وأما الطهارة فاذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبّك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهرا بالتوبة والندم على ما فرّطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهّر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك (وأما ستر العورة) فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث وجود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف *

(وأما الاستقبال) فهو صرف الظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى . أفترى أن صرف القلب من سائر الأمور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات . فلا مطلوب سواه . وانما هذه الظواهر تحريكات البواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبقى على القلب فانها إذا بقيت وظلت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه *

(وأما الاعتدال قائما) فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرؤ عن التر ؤس والتكبر مع ذكر خطر القيام بين يدى الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله *

(وأما النية) فعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا المنة منه باذنه لك في المناجاة مع كثرة عصيانك . فعظّم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي . وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفرّ وجهك من الخوف *

(وأما التكبير) فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه أو كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيكون قولك (الله أكبر) كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته. وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه سبحانه وعفوه

(وأما دعاء الاستفتاح) فأول كلماته قولك (وجَّهتُ وجهي الذي فطر السموات والأرض) وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة . والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات والأرض فانظر اليه أمتوجه الى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات . وإياك أن تكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا . واذا قلت (حنيفاً مُسلما) فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال . واذا قلت (وما أنا من المشركين) فأخطر ببالك الشرك الخفي كمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس . فكن حذرا متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير

منه . واذا قلت (محياى ومماتى لله) فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر عن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال . واذا قلت (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها . وأنّ استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك . فان من قصده سبع أو عدوّ ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ذلك لاينفعه بل لايفيده الا بتبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محابّ الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول ، ومن اتخذ إلهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله تعالى . واعلم ان من مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ماتقرأ . فاعلم ان كل مايشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فاذا قلت (بسم الله الرحمن الرحيم) فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناها ان الامور كلها بالله سبحانه . واذا كانت الامور به تعالى فلا جرم كان (الحمد لله) ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكره لا من حيث انه مسخر من الله عز وجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى . فاذا قلت (الرحمن الرحيم) فاحضر

فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمتـه فينبعث به رجاؤك . ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك (مالك يوم الدين) أما العظمة فلانه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه . ثم جدد الاخلاص بقولك (اياك نعبد) وجدد العجز والاحتياج والتبرئ من الحول والقوة بقولك (واياك نستعين) وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وأن له المنة اذ وفقك لطاعته . ثم عين سؤالك ولا تطلب الا أهمّ حاجتك وقل (اهدنا الصراط المستقيم) الذى يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين . ثم التمس الاجابة وقل (آمين) ولولم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ـ وكذلك ينبغى أن تفهم ما تقرأه من السور فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار أنبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق . فالرجاء حق الوعد . والخوف حق الوعيد . والعزم حق الأمر والنهى . والاتعاظ حق الموعظة . والشكر حق المنة . والاعتبار حق أخبار الانبياء . وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل

(وأما دوام القيام) فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل على نمط واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ مقبلٌ على المصلّي مالم يلتفت) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر من الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك و بقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه . والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع . ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته (أما هذا لو خشع قلبُهُ لخشعت جوارحُهُ فانَّ الرَّعيةَ بحُكْمِ الرَّاعي) وهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح .

(وأما الركوع والسجود) فينبغي أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عزّ وجلّ من عقابه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك . وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزّ مولاك واتضاعك وعلوّ ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه أعظم من كل شئ عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار . ثم ترتفع من ركوعك مؤكداً للرجاء في نفسك بقولك (سمع الله لمن حمده) أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول (ربنا لك الحمد) وتكثر الحمد بقولك (ملء السموات وملء الأرض) ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب .

وان أمكنك أن لاتجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى أصله وانك من التراب خلقت واليه تعود . فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل (سبحان ربي الأعلى) وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا (رب اغفر وارحم) ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك .

(وأما التشهد) فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات . واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وقل (سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ماهو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين . ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة : مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها . ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة . واشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله

سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة . ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة . وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فتردّ صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله *

هذا تفصيل صلاة الخاشعين (الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . والذين هم على صلاتهم دائمون) والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوات فبالقدر الذى يُيسّر له منه ينبغى أن يفرح . وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر . وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته نسأله تعالى أن يتغمدنا برحمته ومغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته *

ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات قال الله عزّ وجل (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع . ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرا . وما عندى ان هذمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى الى هذا الحدّ ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوّه

من قلوبهم فنسأل الله أن يجعلنا منهم *

﴿ الامامة ﴾

على الامام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة وفى أركان الصلاة وبعد السلام . أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة (أولها) أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه . وأن لا يتقدم ووراءه من هو أفقه منه إلا اذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم ويكره عند ذلك المدافعة (ثانيها) أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله تعالى ففضل أوّل الوقت على آخره كفضل الآخرة على الأولى . ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أوّل الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة . وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم يُنْتَظَر وقُدِّم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها فأشفقوا من ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنتم هكذا فافعلوا . وذهب مرة يصلح بين قوم فتأخر عن صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء صلوات الله عليه وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه . وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام

(ثالثها) أن يؤم مخلصاً لله عزّ وجلّ ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته . أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة

(قال الشيخ [١] تقي الدين ابن تيمية عليه الرحمة : ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضا وأجرة بل رزق للاعانة على الطاعة وكذلك المال الموقوف على أعمال البر والموصى به أو المنذور له ليس كالأجرة والجعل انتهى . قال المطارفي فالقائل بالمنع من أخذ الأجرة على نوع القرب لا يمنع من أخذ المشروط في الوقف) وأما الأمانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم — وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه (رابعها) أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة . والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة (خامسها) أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وليأخر المأموم تكبيره عن تكبير الامام فيبتدئ بعد فراغه *

(وأما وظائف القراءة فثلاثة) أولها : أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولتي العشاء والمغرب

---

(١) ما بين الهلالين من النقل عن الامام ابن تيمية رحمه الله من زيادتنا على الأصل اه جمال الدين القاسمي *

وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام ممالا تحقيبا (الثانية) أن يكون للامام في القيام ثلاث سكتات أولاهن إذا كبر لدعاء الاستفتاح والثانية إذا فرغ من الفاتحة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن التعجيل فيه . ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة . وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءته السورة (الثالثة) التخفيف أولى سيما اذا كثر الجمع لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء) وقال صلوات الله عليه لمعاذ (إقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها)

(وأما وظائف الاركان فثلاثة) أولها : أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث (الثانية) في المأموم ينبغي أن لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى الارض ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا (الثالثة) لايزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه بالدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا *

(وأما وظائف التحلل فثلاثة) أولها : ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة (الثانية) أن يثبت عقب السلام سيما اذا كان خلفه نسوة فلا يقوم حتى ينصرفن (الثالثة) اذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس *

﴿ فضل الجمعة وآدابها ﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين قال الله تعالى (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم (خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليهِ الشمسُ يومُ الجمعةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ تَرَكَ الجمعةَ ثلاثاً مِنَ غيرِ عُذرٍ طَبعَ اللهُ على قلبِهِ) والعذر مثل المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ونحوها . ويستحب الغسل فيه ولا بأس من تقريبه من الرواح ليكون أقرب عهداً بالنظافة ويستحب فيه أخذ الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وتطييب الرائحة ولبس أحسن الثياب ويستحب البكور الى الجامع وأن يكون فى سعيه خاشعا متواضعا مبادراً الى ندائه تعالى الى الجمعة وينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمرّ بين أيديهم . والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطى الرقاب ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا مواضع الفضيلة * قال الحسن البصرى (رضي الله عنه) تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا دخل المسجد فليركع ركعتين وان كان الامام يخطب ولا يمر بين يدى الناس بل يجلس الى أقرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمروا بين يديه أعنى بين يدى المصلى فان ذلك منهىّ عنه ومن اجتاز به فينبغى أن يدفعه . فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيأ طوله قدر ذراع

ليكون ذلك علامة لحدّه ويندب طلب الصف الاول فان فضله كثير . والقرب من الخطيب ليستمع الخطبة . وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد . وعليه أن يقطع الكلام عند خروج الخطيب بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ قالَ لِصاحِبِهِ وَالإِمامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغا وَمَنْ لَغا وَالْإِمامُ يَخْطُبُ فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ) وهذا يدل على أن الاسكات ينبغي أن يكون باشارة أو رمي حصاة لا بالنطق . فاذا قضيت الصلاة فليرجع الى شأنه ذاكرا لله عزّ وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره . وكان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وفي ليلته وأن يتصدق فيه إلا على من سأل والامام يخطب . قال ابن مسعود : إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى : يعني هؤلاء السؤّال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكانه من غير تخطى . وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشرب به أو يسبّله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى الفضلة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وينبغي أن يزيد في الجمعة في أنواع خيراته فان الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الاعمال *

﴿ مسائل متفرقة يحتاج الى معرفتها ﴾

(مسئلة)

الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة ـ وذلك في دفع المارّ وقتل العقرب وحاجته إلى الملكّ الذي يشوش عليه الخشوع. ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه. وان عطس حمد الله عزّ وجل في نفسه ولم يحرّك لسانه. وان تجشى فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء.

﴿ مسئلة ﴾

يسن أن يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا. والمرأة الواحدة تقف خلف الامام. فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل.

﴿ مسئلة ﴾

المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أوّل صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام. وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليختمها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم. فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق. وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها. وان أدرك الامام في السجود أو التشهد كبّر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه

فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان ذلك انتقال محسوب له . ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والامام بعدُ فى حدّ الراكعين . فان لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته الركعة *

﴿ مسئلة ﴾

من فاتته الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولا ثم العصر . فان وجد جماعة فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى *

﴿ مسئلة ﴾

من صلّى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه . ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم . وأصل هذا قصة خلع النعلين حيث أخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فخلعهما ولم يستأنف الصلاة *

﴿ مسئلة ﴾

من ترك التشهّد الاول أو شكّ فلم يدر أصلّى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب *

﴿ مسئلة ﴾

الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع . لان امتثال أمر الله عزّ وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد . ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أتقصب قائما تعظيما

لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفيها عقله . بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما . ثم هذه الصفات لابد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة . وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب . فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية . فليس فيه إلا أنك دعيت الى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت . فالوسوسة محض الجهل *

﴿ مسئلة ﴾

لا ينبغي أن يتقدم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الاعمال ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء . فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف وقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه وقال (أَمَا يَخْشَى الَّذى يَرْفَعُ رَاسَهُ قَبْلَ الامامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمارٍ) *

﴿ مسئلة ﴾

حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى صلاته أن

يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه . فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف . والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور . وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا أصحاء فعاتبوهم . والعتاب انكار على من ترك الجماعة . ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الاولون يبالغون فيه *

﴿ بيان نوافل العبادات ﴾

اعلم ان ماعدا الفرائض من الصلوات يسمى نافلة وتطوعا . فمنه مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء . ومنه ما يتعلق بأوقات كرواتب الصلاة ونحوها فمن الثانى (راتبة الصبح) وهي ركعتان يدخل وقتها بطلوع الفجر . فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ إذا أُقيمَتِ الصَّلاةُ فَلا صَلاَةَ إلاَّ المكتُوبَةُ ﴾ ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما (وراتبة الظهر) أربع قبلها وأربع بعدها وله الاقتصار على ركعتين قبل وبعد (وراتبة العصر) وهى أربع ركعات قبلها ولم تكن مواظبته صلوات الله عليه عليها كمواظبته على نافلة الظهر (وراتبة المغرب) وهما ركعتان بعد الفريضة وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فكان يفعله كثير من الصحب وصح أمر النبى صلوات الله عليه بها على سبيل التخيير (وراتبة العشاء) بعدها ركعتان أو أربع (وأما الوتر) فوقته بعد العشاء وأكثره

احدى عشرة ركعة وله أن يوتر بتسع وسبع وخمس وثلاث موصولة بتسليمة واحدة أو مفصولة بتسليمتين . وجعله بعد التهجد فى آخر الليل أفضل (وأما صلاة الضحى) فأكثر ما نقل فى عدد ركعاتها ثمان وأقله ركعتان ووقتها بعد اشراق الشمس وارتفاعها (وأما صلاة العيدين) فهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويستحب يوم العيد الاغتسال والتزين والتطيب (وأما صلاة التراويح) فهى عشرون ركعة وكيفيتها معروفة (وأما صلاة الخسوف) فركعتان ينادى لها ويصليها الامام بالناس جماعة فى المسجد وفى كل منهما ركوعان وسجودان ثم يخطب بعدها ويأمر الناس بالصدقة والتوبة . ووقتها عند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء (وأما صلاة الاستسقاء) فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى (الصلاة جامعة) فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين ويكثر من الاستغفار والدعاء (وأما صلاة الجنائز) فكيفيتها معروفة وهى من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره (وأما تحية المسجد) فركعتان وهى سنة مؤكدة وان اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لايخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد (وأما ركعتا الوضوء) بعده

فمستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة (وأما صلاة الاستخارة) فمن همّ بأمر فقد أمر النبي صلوات الله عليه أن يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال : اللهم اني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى وان كنت تعلم ان هذا الأمر شرّ لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقْدِرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رضّنى به . ويسمى حاجته *

﴿ الاوقات التى تكره فيها الصلاة ﴾

هى خمسة بعد العصر . وبعد الصبح . ووقت الزوال . ووقت الطلوع والغروب تكره فيها صلاة لاسبب لها . أما ما له سبب كقضاء راتبة وكسوف وجنازة فلا تكره فيها . وسرّ النهى التوقى من مضاهاة عبدة الشمس وبعث الداعية والنشاط ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار قضاء الوقت *

﴿ ما يقضي من النوافل ﴾

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلنى عنهما الوفد

وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلّى من أول النهار اثنتى عشرة ركعة . فمن كان له وِرْدٌ فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لا يرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدّعة والرفاهية . فتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس فيقصد به أن لا يفتر فى دوام عمله *

كتاب أسرار الزكاة

جعل الله تعالى الزكاة إحدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وقال صلى الله عليه وسلم (بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ومعنى الانفاق فى سبيل الله إخراج الزكاة . قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمرّ أبو ذر فقال بشر الكانزين بكيّ فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكيّ فى اقفائهم يخرج من جباههم . ولهذا التشديد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة ومعانيها الظاهرة والباطنة ـ وفى ذلك فصول *